

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة: الانثروبولوجيا

مطبوعة:

# مدخل الى الانثروبولوجيا

موجهة الى طلبة السنة الاولى جذع مشترك علوم اجتماعية

من اعداد:

الدكتور: الطيب العماري

السنة الجامعية 2023 - 2024

## المحور الثامن: منهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي:

### العمليات التحضيرية للبحث:

أ- تحديد موضوع الدراسة: أو ما يسمى بمشكلة البحث وعند اختيار موضوع البحث يجب أن يراعي الباحث تحديد موضوع الدراسة بلغة واضحة تماما، ذلك أن اللغة التي يصاغ بها موضوع البحث كفيلة بإبراز النقاط الهامة التي يجب أن يتناولها الباحث بجانب أنها تمكن الباحث من استنباط نقاط اهتمام مختلفة متتالية وبالطبع فإن على الباحث أن يبين أهمية مشكلة بحثه العلمية، ويبرز الجدوى من دراسة هذه المشكلة، كما أن على الباحث أن يدعم رأيه ببعض الأدلة والشواهد، كأن يوضح ما يمكن أن يقدمه بحثه من حلول للمشكلة، أو ما يقدمه من إضافات علمية، وبعد اختيار موضوع البحث يجب أن يعتمد الباحث إلى اختيار مجتمع البحث وهناك من الباحثين من يفضل اختيار مجتمع البحث أولا وانطلاقا منه يمكن أن نحدد موضوع البحث.

ب- قراءة ما كتب عن موضوع البحث ومجتمع الدراسة والهدف من هذه القراءات التي كتبت حول مجتمع الدراسة تؤدي إلى تطوير فروض بحثه وتحديد نقاط الاهتمام في دراسته.

ج- تحديد المداخل الأساسية التي سوف يستخدمها في دراسته لتحليل الظواهر المدروسة، والنظرية التي تشكل إطاره المرجعي في عملية التفسير (سبق التطرق إليها بالتفصيل).<sup>(1)</sup>

### الدراسة الميدانية وأدوات البحث الأنثروبولوجي:

لقد وصفت أقوال الرحالة والمستكشفين الأوائل وجنود الاستعمار الإنسان البدائي بالمتوحش أو الحيوان الفظ، ثم جاءت بعض التقارير على العكس من ذلك تماما تصفه بالإنسان الرقيق المهذب الذي يعيش على الطبيعة في رخاء وسلام، ومن هنا يظهر التناقض الكبير في الوصف، ويعود هذا إلى أن هؤلاء

---

<sup>1</sup> - عبد الله عبد الغني غانم: طرق البحث الأنثروبولوجي، الطبعة الأولى المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2004، ص

الأوائل من المستكشفين وحتى الباحثين لم يكونوا مزودين بالقوانين والأدوات العلمية الضرورية والحقيقية  
لدراسة ثقافات ومجتمعات هذه الشعوب البدائية. (2)

ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت تظهر إمكانية تطبيق المنهج العلمي في الأبحاث الأنثروبولوجية عن  
طريق الدراسات الميدانية (والدراسات الحقلية<sup>3</sup>) وتمثل في ملاحظة الواقع الاجتماعي مباشرة أي أن يقوم  
العالم نفسه بجمع المعلومات بطرق بحث معينة ثم يقوم بتحليلها وبالتالي يستطيع أن يتأكد من استخدام  
المنهج العلمي في جمع المعلومات ويعتمد الأنثروبولوجيون في تطبيق المنهج العلمي أثناء دراساتهم الميدانية  
على طرق بحث معينة أهمها ما يلي:

أ- **الملاحظة بالمشاركة** *Observation participative* : وتتلخص في أن يشارك الباحث في

الأنشطة الاجتماعية التي يمارسها أعضاء المجتمع قيد البحث ومن خلال تلك المشاركة يدرس ثقافتهم  
ويقابل الباحث في بداية دراسته الميدانية مشكلة كبيرة وهي (الدور) الذي يجب أن يؤديه لكي يحصل  
على معلومات موضوعية، وترجع أهمية تلك المشكلة إلى الحقيقة القائلة بأن تواجد الباحث في مجتمع أو  
قبيلة ما تدفع الأفراد موضوع الملاحظة إلى تغيير سلوكهم العادي أو إلى الإدلاء بأقوال لا تعبر عن الواقع  
وذلك لشعورهم بأنهم خاضعون لملاحظة الغير ولذلك على الباحث أن يقوم بدور ما في المجتمع بحيث  
يترتب عليه أن يقبله أفراد المجتمع وكأنه واحد منهم وبالتالي يكتسب ثقتهم ويبدد الشكوك حول مهمته  
وإبعاد شعور العداء الذي يواجهه الغريب عندما يدخل مجتمعا ما لأول مرة، وهكذا يذهب الأنثروبولوجي

---

<sup>2</sup> - ايفانز بريشارد: **الأناسة المجتمعية وديانة البدائيين في نظرية الأناسيين**، ترجمة حسن قبيسي، الطبعة الأولى، دار  
الحدادة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - 1986 ، ص 85.

<sup>3</sup> - ونعني بالدراسات الحقلية تواجد الباحث في ميدان بحثه أي في المجتمع الذي يقوم بدراسته حيث يقوم الباحث بدراسة  
الناس في مجتمعا محليا أو مؤسسة أو مصنع أو إحدى القبائل أو حتى جماعة إجرامية غير ذلك و تتطلب الدراسة الحقلية أن  
يتواجد (يقوم) الباحث في الميدان مدة كافية (لبضعة أشهر وقد تصل إلى عام أو عدة أعوام حسب طبيعة البحث ) يقوم  
خلالها بملاحظة سلوك أعضاء المجتمع و محاولة الاندماج فيه اندماجا يمكنه من أن يعرف كيف يتحدث ويفكر ويشعر و  
يعمل كأحد أعضاء ثقافة ذلك المجتمع في الوقت الذي يتصرف فيه كأنثروبولوجي ينتمي إلى ثقافة أخرى.  
ومنها تعتبر الدراسة الحقلية (الميدانية) أهم ما يميز الباحث الأنثروبولوجي عن غيره من الباحثين في تخصصات أخرى . و  
يوضح كلود ليفي ستروس أهمية الدراسة الحقلية بقوله " إن علماء الأنثروبولوجيا راغبون جميعا في الاعتراف بالأهمية للعمل  
الميداني كضرورة أولى للباحثين الإثنوبولوجيين جميعا " انظر: (عبد الله عبد الغني غانم، ص 76-77).

إلى المجتمع الذي يدرسه ليعيش فيه فترة من الزمن (لا تقل عن ستة أو ثمانية أشهر) لاكتساب ثقة الأفراد وجمع المعلومات اللازمة، ولا بد للباحث أن لا يكتفي بالملاحظة عن بعد ولكن يجب أن يتعلم أسلوب حياتهم والمفاهيم السائدة ويشعر بالقيم التي يعتنقونها ويعمل معهم ويشاركهم الطعام واحتفالاتهم وارتداء ملابسهم وفي بعض الأحيان يدخل كعضو في جمعياتهم إذا سمحت النظم الاجتماعية بذلك، وعليه طوال الفترة أن يكتب تقارير يومية عن كل صغيرة وكبيرة تقابله، وعندما تتضح له فكرة عامة عن أسلوب المعيشة في المجتمع يبدأ في التحليل والكشف عن عناصر الثقافة والترتيب البنائي للمجتمع حتى تصبح دراسته مفهومة وواضحة. (4)

يحدد العالم إيفانز بريتشارد (في كتابه الأنثروبولوجية الاجتماعية) شروط نجاح الملاحظة بالمشاركة فيما يلي:  
1- أن تسبقها مرحلة تخصص ودراسة نظرية كافية في الأنثروبولوجيا عامة والعلوم الاجتماعية وخاصة علم الاجتماع، ويفهم من ذلك ضرورة الحصول على الدرجة الجامعية الأولى على الأقل في أحد فروع العلوم الاجتماعية قبل القيام بالدراسة الميدانية وتطبيق الملاحظة بالاشتراك.

2- على الباحث أن يقضي فترة كافية في الاشتراك مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة في معيشتهم، ويجب ألا تقل تلك الفترة عن عام، ويرى بعض العلماء أن ستة أشهر قد تكون كافية، ولا شك أن تحديد الفترة الكافية يرتبط بعوامل متعددة مثل حجم المجتمع وطبيعة المشكلة المراد دراستها دراسة مركزة.  
3- أن يكون الباحث طوال فترة الملاحظة على صلة وثيقة بالأهالي ويتم ذلك عن طريق اشتراكه في معظم جوانب حياتهم الاجتماعية.

4- على الباحث أن يستخدم في حديثه مع أفراد المجتمع موضوع الدراسة لغتهم الوطنية، ولا يستخدم المترجم، إذا كثيرا ما يفشل المترجم في نقل الأفكار والمعاني بدقة كاملة.

5- وعليه أيضا أن يدرس كل جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية وإن كان قد يدرس موضوع معين بالتفصيل، وفي الغالب لا ينشر الباحث سوى جزء يسير من دراسته، ولكن الدراسة الكلية للمجتمع ضرورية حتى يستطيع فهم الجوانب التفصيلي وتحديد وظائفه.

---

<sup>4</sup> -Jean Lopans: **L'enquête ethnologique de terrain**/11, édition: claire hemmout.1998 P P 34

6- لا بد من توفر نوع معين من الشخصية والمزاج، فبعض الناس لا يستطيعون تحمل مشاق العزلة عن وطنهم الأصلي فغالبا تكون الحياة في المجتمع موضوع الدراسة قاسية، وخاصة أن الظروف غير الصحية تنتشر في المجتمعات البدائية، هذا بالإضافة إلى تعرض الباحث لتغيير عادات الطعام والمسكن والملبس والمشرب، ولذلك لا يستطيع الكثيرون تكيف أنفسهم عقليا ونفسيا وجسما مع تلك الظروف الجديدة.

7- على الباحث أن يتخلى عن قيمه وثقافته بقدر المستطاع حتى يستطيع تحقيق الملاحظة الموضوعية، ولا شك أن الأفراد الذين يتقنون الملاحظة يستطيعون الوصف الدقيق للمجتمع، ولكن عندما ينتقلون إلى مرحلة الفهم والإدراك العميق فإنهم يحتاجون إلى الكثير من الحدس. ويجب عدم إغفال أهمية مزاج الباحث وطباعه، فقد يحدث أن يخفق أحد الباحث في دراسة مجتمع معين ولكنه ينجح في مجتمع آخر.

8- يحتاج الباحث لمهارة أدبية في نقل وصف وتحليل الثقافة المدروسة إلى لغة الباحث نفسه، إذ عليه أن يبين ويشرح معنى الظواهر الاجتماعية والثقافية التي لاحظها وأن يبرز هذا المعنى بوضوح في صور تجاربه الأخرى، ويقتضي ذلك المجهود مهارة في إدراك وتمييز الصيغ والنماذج اللغوية، ولا يفهم من ذلك أن على الأنثروبولوجي أن يكون أدبيا حتى ينجح في عمله وإنما يكون قادرا على التعبير والكتابة بلغة واضحة سليمة.<sup>(5)</sup>

وفيما يتعلق بتدوين التقارير اليومية فمن الضروري تدوين كل المعلومات (حول الحادثة أو الظاهرة) في أقرب فرصة متاحة بعد الملاحظة مباشرة ويجب أن يكون التسجيل يوميا على الأقل وأن يشمل تقرير مطول عن حوادث اليوم كما عليه أن يتحاشى التسجيل خلال الحوادث إلا للضرورة، لأن ذلك قد يسبب له انقطاعا في التركيز في متابعة الظاهرة ورصدها، وقد يسبب تحول سلوكيات الأشخاص محل الملاحظة أو تدميرهم.

يشدد مالينوفسكي (في كتابه مغامرو المحيط الهادي الغربي ص 64-65) على أهمية الملاحظة بالمشاركة، وضرورة معاينة الوقائع الظاهرة ثم الظواهر المعقدة الأخرى ويبرز أهمية تقنية المشاركة بقوله: « أثناء زهتي

<sup>5</sup> - عطف وصفي: الأنثروبولوجيا الثقافية، ، ص ص 287-288.

الصباحية في القرية، كان بوسعي أن أعين التفاصيل الحميمة للحياة العائلية، والاعتناء بالهندام وإعداد الطعام، وتناول الوجبات:

كان بوسعي أن أرى تهيؤ القوم للقيام بأعمالهم اليومية، أن أرى أشخاصا يذهبون لجلب حاجاتهم، أو جماعات من الرجال والنساء منهمكين في إعداد شيء من الأشياء. كانت المشاجرات والممازحات، والمناكفات العائلية، والأحداث العابرة التي لا أهمية لها والتي تتخذ طابعا دراماتيكيًا في بعض الأحيان لكنها تظل دائما ذات دلالة ومغزى، تشكل مناخ حياتي كل يوم كما تشكل مناخ حياتهم. ولأن الأهالي كانوا يرونني طيلة الوقت بينهم، فإن وجودي لم يعد يربكهم ولا يثير لديهم قلقا أو انزعاجا. منذ ذلك الحين، لم أعد أشكل عنصرا مشوشا للحياة القبلية التي كنت أدرسها، ولم يعد مجرد اقترابي من أي شيء كفيلا بإفساده على نحو ما يحصل عندما يوجد قادم جديد بين طائفة من البدائيين. والواقع أنهم لما تيقنوا من أنني سأظل أتدخل على الدوام في كل الشؤون والأمور، بما فيها تلك التي لا تخطر ببال أي من أبنائهم المهذبين أن يتدخل فيها فقد انتهى بهم الأمر إلى اعتباري جزءا من أجزاء وجودهم وعنصرًا من عناصره، أو شرا لا بد منه، أو هما لا سبيل إلى تلافيه تخف وطأته عند توزيعي بعض التبغ عليهم. بعد ذلك، وخلال فترة النهار، لم يكن يغرب عن انتباهي أي شيء مما كان يجري حولي. أما حالات الاستنفار التي كانت تحصل عند المساء مع قدوم الساحر، أو تلك المشاجرة أو المشاجرتان الصاخبتان، أو تلك الخلافات الجدية التي كانت تدور ضمن الطائفة، فضلا عن حالات المرض، ومحاولات علاجها، والوفيات، والطقوس السحرية [...] التي من المفترض أداء شعائرها، فإن مشاهدتها لم تكن تستوجب مني أي جري وراءها أو أية خشية من تفويتها، إذ كانت تحدث أمامي، وتحت بصري، وعلى مقربة من عتبة بابي إذ جاز القول. وينبغي أن أشدد هنا على أن من الأهمية بمكان أن يشرع الباحث بالتحقيق على الفور ما إن يحصل شيء دراماتيكي أو رئيسي. إذ أن الأهالي لا يسعهم أن يمتنعوا عن التعليق على ما يجري، فيكونون عندئذ على درجة من التوتر تحول دون تعبيرهم عنه بالكلام المتروكي، أو يكونون على درجة من الاهتمام به تحول دون امتناعهم عن إضافة شتى التفاصيل إليه. لذا كنت في أحيان كثيرة أضطر إلى الإخلال بأصول اللياقة، الأمر الذي كان يحمل الأهالي، وقد رفعت الكلفة بيننا، إلى تنبيهي إليه. فكان علي أن أتعلم أصول التصرف، كما كان لي أن أدرك، إلى حد ما "مغزى" العادات الحسنة

والسيئة التي يتمتع بها أهالي تلك البلاد. بناء عليه، ولأنني كنت قد توصلت أيضا إلى الارتياح إلى صحبتهم وإلى مشاطرتهم بعض العابهم وتسلياتهم، فإنني أخذت أشعر بأني قريب منهم بالفعل وهذا أمر لاشك في أنه يشكل شرطا مسبقا من شروط أي نجاح في العمل البحثي»<sup>(6)</sup>.

**ب- طريقة المقابلة: منها:**

● **طريقة المقابلة غير الموجهة:**

يستخدم الأنثروبولوجي أثناء الدراسة الميدانية بالإضافة إلى طريقة الملاحظة بالاشتراك طريقة " المقابلة غير الموجهة" وتتمثل في مقابلة بعض أفراد المجتمع الذي يتمتعون بصمعة طيبة في المجتمع موضوع الدراسة، ويحاول في المقابلات الأولية اكتساب ثقتهم بحيث يفتحون له قلوبهم ولا يحاولون تزييف الحقائق، وفي المقابلات التالية يبدأ الباحث في توجيه الأسئلة لهؤلاء " المبلغين" ويتيح لهم فرصة الإجابة المطولة دون توجيه الإجابة وجهة معينة، وعندما ينتقلون في الحديث من موضوع لآخر لا يحاول قطع الحديث وإنما على العكس يشجعهم بكلمة أو أخرى تزيد من حماسهم في الاسترسال في الحديث حول الموضوع الذي يهم الباحث، ويمكن للباحث تدوين تلك المعلومات أو تسجيلها بالآلات الحديثة إذا كان قد اكتسب ثقتهم، وفي حالة عدم اكتساب تلك الثقة يمكن تدوين النقاط الأساسية بطريقة لا تثير الشك، وفي بعض الأحيان لا يكتب الباحث أية معلومات أثناء المقابلة غير الموجهة، وإنما عليه تدوين كل ما سمعه بعد المقابلة مباشرة حتى لا ينسى بعض عناصرها. وتتلخص أهمية هذه الطريقة في أنها تتيح فرصة إظهار سمات شخصية الأفراد وإعطاء معلومات تفصيلية عن الموضوعات التي تدور حولها الأسئلة. ولا توجد تلك المميزات في طريقة المقابلة الموجهة.<sup>(7)</sup>

● **طريقة المقابلة الموجهة:**

وتتمثل تلك الطريقة في استخدام استمارة تتكون من مجموعة من الأسئلة التي وضعت بدقة حول موضوع معين، وفي معظم الأحيان تشمل الاستمارة كذلك الإجابات المحتملة بحيث يمكن ملؤها بسرعة وتفرغها في جداول. وعلى الباحث أن يقرأ كل سؤال أمام الشخص المراد دراسته، ثم يسجل إجابته في

<sup>6</sup>- جاك لومبار: مرجع سابق، ص ص 180 - 181.

<sup>7</sup>- د. عطف وصفي، الأنثروبولوجيا الثقافية، ص ص 289-291.

الاستمارة ويتم ذلك غالبا بوضع علامة أو أمام إحدى الإجابات المكتوبة، ويلاحظ أن قراءة الأسئلة يجب أن تتم بصورة محايدة بحيث لا تؤثر على إجابات المستمع. وتستخدم تلك الطريقة في أبحاث علم الاجتماع، ولكنها غير منتشرة في الدراسات الأنثروبولوجية، ويرجع السبب في ذلك أن استخدام طريقة المقابلة الموجهة لا تنجح إلى في المجتمعات المتمدنية، أما في المجتمعات البدائية فإنها تثير شكوك الفرد لعدم تعوده على تلك الطريقة الرسمية في الحديث وخاصة أنه في الغالب لا يعرف الكتابة والقراءة ولم يحدث أن قابله أحد وأخذ يسجل أقواله، ولذلك لا يستخدمها الأنثروبولوجيين إلا في المجتمعات المتمدنة وبجانب طريقة الملاحظة بالمشاركة وطريقة المقابلة غير الموجهة.

### ج- طريقة مدخل تاريخ الحياة:

يميل الباحث في كثير من الأحيان إلى جمع مادة مكثفة عن أشخاص ذو فصاحة طبيعية، لأن الطبيعة الشخصية لتاريخ الحياة تمثل تمثيلا كاملا للمعلومات الثقافية لها أهميتها الكبيرة في فهم طرق الحياة الخاصة.

وتجمع مادة تاريخ الحياة عادة في محاولة لربط تجريدات الوصف الأثنوجرافي بحياة الأفراد في المجتمع، ونظرا لما يتيح استخدام تاريخ الحياة من الحصول على معطيات شرعية تتناول ما يتخذه المبحوث عن قرارات هامة، ويكشف عن مشاعره إزاء الأشخاص والأحداث، وتحيط بدوافعه، وتبرز ما يقدمه من تبريرات ذاتية بجوانب أفعاله، إن ذلك يسهم إسهاما مباشرا في إتاحة الفرصة أمام الباحث الاجتماعي، لكي يفهم العمليات الحاسمة في تاريخ حياة الحالة (8) موضع الدراسة.

وتعتبر هذه الطريقة مهما جدا لأنها إذا استغلت بطريقة حسنة لتمكنة الباحث من حسن المشاهدة، وعمق التحليل، والموضوع الذي تتخذه طريقة تاريخ الحياة مجالا لها هو صوغ مجموعة من التفسيرات التي تعكس الخبرة الذاتية لفرد، أو جماعة إزاء مجموعة من الوقائع والأحداث التي تحدد الطريقة التي أصبح الفرد بمقتضاها عضوا في تنظيم أو في جماعة، أو سيرت اهتماماته على نحو أدى به إلى أن يسلك سبيل الانحراف، ويتحقق ذلك من خلال تركيز الاهتمام على عرض خبرة الحالة موضع الدراسة في ظروف موقفها، وذلك من وجهة نظر هذه الحالة، واستجابتها لتلك الظروف، بحيث تبدوا نتائج



دراسة تاريخ الحياة كما لو كانت قصة، يحدد فيها الباحث ردود فعل بطلها إزاء الأحداث الهامة التي يذكرها الباحث تفصيلا، ويعرضها في ضوء آراء واستجابات وتأويلات الشخصيات الأخرى الحاسمة في مجرى حياة الحالة الرئيسة موضوع الدراسة، هذا وتستند طريقة دراسة تاريخ الحياة في افتراض أساسي مؤداه أنه ينبغي دراسة سلوك الإنسان، وفهمه من خلال الكشف عن نظرة الإنسان القائم بهذا السلوك.<sup>(9)</sup>

#### د- طريقة الاختبارات النفسية:

قد يستخدم بعض الأنثروبولوجيين أثناء دراساتهم الميدانية بعض الاختبارات النفسية لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ومن أمثلة تلك الاختبارات " اختبار رورشاخ ".

ويتكون ذلك الاختبار من عشر لوحات، رسم على كل واحدة صورة مكبرة لنقطة حبر قذف بها على ورقة فاتحذت شكلا تغير منتظم ويطلب من شخص أن يصف ما يمكن أن يتصوره من أشكال عندما ينظر لكل لوحة، وعلى أساس ما يقرر الشخص يمكن التوصل إلى تحديد بعض خصائص شخصيته. ويجب ملاحظة أن قليلا من الأنثروبولوجيين الاجتماعيين يستخدمون الاختبارات النفسية، ولكن يستخدمها بكثرة الأنثروبولوجيين الذين يتخصصون في تحديد العلاقات والشخصية والثقافية في مجتمع ما.

#### هـ- طريقة المقارنة:

لا يقنع الأنثروبولوجيين بوصف قطاعات الثقافة في المجتمع موضوع الدراسة وإنما يعمل على تحليل المعلومات الوصفية ليس في تحديد أنماط العلاقات الاجتماعية وإنما لفهم الثقافة ككل ويتم ذلك عن طريق الكشف عن الوظائف الاجتماعية التي تؤديها النظم الاجتماعية وكذلك الكشف عن التأثيرات المتبادلة بين النظم الاجتماعية وباقي النظم الثقافية، ولا بد للوصول إلى تلك الصورة الكلية، وعلى الأنثروبولوجيين بعد الكشف عن طبيعة الثقافة والأنماط الاجتماعية الأساسية أن يقارن تلك الظواهر

---

<sup>9</sup> -Jean Lopans: L'enquête ethnologique de terrain/11, édition: claire hemmout.1998 P P 50 -

الاجتماعية والثقافية بمثلتها في المجتمعات الأخرى، ولاشك أن كل دراسة جديدة لكل مجتمع تساعد على توسيع مجال المقارنة، ويجب عند المقارنة استخدام الدراسات الميدانية التي يمكن الاعتماد عليها والثقة في موضوعيتها، ونقصد بذلك الدراسات الميدانية التي يقومون بها المتخصصون في الأنثروبولوجيا بفروعها المختلفة أما الدراسات الميدانية التي يقوم بها الرحالة ورجال الصحافة وغير المتخصصين فهي لا تصلح للمقارنة.

يميل بعض الأنثروبولوجيين وخاصة المتخصصين في الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تركيز دراساتهم الميدانية في مجتمع واحد أو عدد قليل من المجتمعات ويعرف هذا الاتجاه " بتقليد مالينوسكي " ويتلخص في التخصص في مجتمع واحد من ثلاث مجتمعات على الأكثر بحيث يقضي العالم حياته كلها في الكتابة عنهم وتحليل القطاعات الثقافية لكل منهم للوصول إلى فهم عميق لثقافة تلك التجمعات. ويؤمن العلامة مالينوسكي بأنه لا يمكن فهم ثقافة من ثقافات الشعوب البدائية إلا إذا درست دراسة عميقة مركزة، وقد نادى بضرورة القيام بدراسة ميدانية مركزة واحدة على الأقل قبل التخصص في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، ومعظم الجامعات في العالم قد استجابت لذلك النداء وجعلت الدراسة الميدانية شرطاً ضرورياً للحصول على الدرجات الجامعية العالية في الأنثروبولوجيا. ولاشك أن أوضح مثال لذلك الاتجاه دراسات العلامة مالينوسكي ذاته، فقد استغرقت دراسته الميدانية " التروبرياندر " بمنطقة ميلانيزيا مدة أربع سنوات وكان أول من استخدم لغة الأهالي لجمع المعلومات وقد أتاحت له هذه المدة الطويلة فرصة التغلغل والتعمق في الحياة الاجتماعية عند تلك القبائل ووضع عنها عدة مؤلفات تدور كلها حول ثقافتهم. ولاشك أن تقليد مالينوسكي يتعارض بعض الشيء مع اتجاه المقارنات بين الأبنية الاجتماعية للمجتمعات المختلفة لأنه يركز اهتمام العالم بمجتمع معين بحيث يستنفذ هذا التركيز كل جهودات العالم، هذا بالإضافة إلى أنه يؤدي إلى قلة عدد الدراسات مما يعرقل المقارنات وقد لاحظ العلامة " بريتشارد " تلك المشكلة ونادى بتطبيق نوع من المقارنة أطلق عليه اصطلاح " المنهج التجريبي "، ويتلخص في أن يقوم كل أنثروبولوجي باستنتاج عدة نتائج من دراسته العميقة لمجتمع واحد، ثم يقوم نفس الباحث أو باحث آخر من صحة وواقعية تلك النتائج بالنسبة لمجتمعات أخرى، وهكذا تتسع دائرة فحص تلك النتائج تدريجياً، وهي في الحقيقة لا تخرج عن كونها فروض وتصبح تلك الفروض في النهاية

قوانين أو مبادئ عامة ومن العلماء الذين طبقوا هذه الطريقة العلامة " شنيدر " عندما فحص النتائج التي توصل إليها العلامة بريتشارد في دراسته لقبائل بريتشارد " النوير " عن طريق تطبيقها على قبائل " لزولوا "؛ وهناك مثل آخر يتمثل في دراسة العلاقة " نادل " الذي فحص ظاهرة السحر في أربعة مجتمعات إفريقية. ويرى العلامة " شايرا " أنه يمكن المقاربة مكانيا ثم تتسع المقارنة تدريجيا. ويجب ملاحظة الفرق الكبير بين طريقة المقارنة المبينة فيما سبق وطريقة المقارنة التي استخدمها علماء القرن التاسع عشر، أن طريقة المقارنة المقصودة هنا تعتمد على دراسات ميدانية موضوعية قام بها متخصصون وبالتالي تؤدي إلى مبادئ عامة وقوانين اجتماعية وثقافية، أما المقارنة التي طبقها علماء القرن التاسع عشر تعتمد على أقوال الرحالة وغير التخصصين وتقسم بالموضوعية ولذلك لم يترتب عليها سوى التأملات والتخمينات التي ثبت عدم واقعيتها. وكثيرا ما تحتاج المقارنة التحليلية إلى استخدام المناهج الإحصائية واستخدام العينات وقد لاحظنا ذلك في دراسات العلامة " ميردوك " (10).

### الصعوبات التي تواجه البحث الأنثروبولوجي:

يواجه البحث الأنثروبولوجي معوقات وعقوبات مختلفة متفاوتة في درجتها يمكن تحديدها على

الشكل التالي:

#### أ- صعوبات تختلف باختلاف التدرج للمجال التقليدي للبحث الأنثروبولوجي:

يشير كلود ليفي ستراوس إلى هذه النقطة بالقول: " من الناس من يعتقد أن الأنثروبولوجيا مقضي

عليها بالاندثار مع مادتها التقليدية التي تناولها بالدراسة، وهي الشعوب البدائية، ولكي تظل

الأنثروبولوجيا على قيد الحياة فمن المفترض عليها أن تتخلى عن بحثها الأساسي، وتكرس نفسها

لمشكلات الدول النامية من جهة وإلى الظواهر المرضية التي من الممكن ملاحظتها في مجتمعاتنا من جهة

أخرى " وعلى ذلك برزت إلى الوجود الأنثروبولوجيا التطبيقية إلى جانب استمرار مهام المجال الكلاسيكي

للأنثروبولوجيا، ومع ذلك لا يجب أن نقلل من الانقراض السريع المفرع لما يسمى بالشعوب البدائية في

جميع أنحاء العالم. بالإضافة إلى خطر آخر يواجه البحث الأنثروبولوجي يتمثل في أن بعض الشعوب في

إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية... إلخ كانت تتمتع دائما بكثافة سكانية مطلقة، هذه الكثافة تتزايد الآن،

وهؤلاء السكان قد تجاوزوا مدى دراسة الأنثروبولوجيا، لا بسبب أنها قد اختفت بل بسبب أنها قد تغيرت، فحضارتهم تطورت بسرعة في اتجاه النماذج الغربية، بالإضافة إلى العداء الذي ظهر بعد استقلال هذه الشعوب اتجاه الأنثروبولوجيين حيث بدأ اتجاه عدائي من جانب هذه الشعوب أو صفوفهم يعتبرون تقاليدهم القديمة وعقائدهم علاقة من علامات التأخر الحضاري التي يرغبون في تحرير أنفسهم منها بأسرع ما يمكن، ومن ثم فهم يوجهون اللوم للأنثروبولوجيين لاهتمامهم بهذه العادات، وإضافتهم قيمة وهمية عليها، وهذا ما شكل صعوبة كبيرة أمام الباحثين الأنثروبولوجيين في قيامهم بأداء أدوارهم. (11)

### ب- صعوبات ترتبط بطبيعة المنهج الأنثروبولوجي:

وهي تتمثل فيما يواجهه الباحث الأنثروبولوجي في الميدان أو في مجال عمله المحلي ومنها ما يرتبط بالمنهج الأنثروبولوجي نفسه، وما يقتضيه من إقامة في منطقة أو مجتمع البحث (مخاطر الحيوانات - الأمراض... إلخ) ولمدة طويلة.

ضرورة تعلم لغة الأهالي عندما تختلف عن لغة الباحث وغير ذلك، بالإضافة إلى العدوانية من طرف سكان بعض القبائل التي قد تصل إلى حد القتل مثل ما حدث ل: مانجو بارك الذي قتل بالنيجر، وهيوكلا برتون وغيرهم.

بالإضافة إلى هذا فإن صعوبة تعلم لغة الأهالي وفك رموزها ومفاهيمها هي من أصعب المهام التي تواجه الباحث، فعادة عندما يزور الأنثروبولوجي أفراد غرباء فإنه يكون لديه بعض التصورات مثل (الله) و (القوة)، (العائلة).... إلخ، قد لا يجد لها نفس المعاني والدلائل عند المجموعة المدروسة وهذا يؤدي به إلى تفسير الظواهر المختلفة تفسيراً خاطئاً. (12)

### ج - صعوبات ترتبط بشخصية الباحث ذاته:

هناك نوعان من الصعوبات ترتبط بشخصية الباحث تعترض البحث الأنثروبولوجي، وأول هذه الصعوبات - تنبع من ذات الباحث، وأعني به التحيز وعدم تحري الموضوعية، أما النوع الثاني من الصعوبات التي ترتبط بشخصية الباحث فتتمثل فيما يواجهه الباحث الأجنبي يعاني - عادة - من

11- د. عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص 186.

12- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 189 - 190.

مشاكل ترتبط بالأوضاع السياسية والاجتماعية، ومن الغريب أن يكشف مؤتمر عن المشاكل التي تواجهها البحوث الأنثروبولوجية في أمريكا اللاتينية عن أن المصاعب التي يعاني منها الباحث الزائر، وقد تبين - مثلاً - أن عدم الاستقرار في أمريكا الوسطى يجعل من الخطر القيام بإجراء دراسة ميدانية، سواء كان القائم بهذا البحث باحثاً أجنبياً أو محلياً، ويشكل ما يسمى الآن بتسييس العلوم الاجتماعية عقبة كبيرة أمام الباحث الأنثروبولوجي، حيث تطلب بعض البلدان من الباحث الأنثروبولوجي أن يعبر ببحثه أساساً عن الولاء السياسي، وليس من السهل عموماً أن يكون الباحث موضوعياً فيما يتعلق بالمسائل التي تهدد وتشوه الالتزامات السياسية أو غيرها من الالتزامات الاجتماعية، وعموماً فإنه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة يتأثر الأنثروبولوجي، بالجو العلمي العام، كما أوضحت الدراسات الأنثروبولوجية أن هناك مشكلة أخرى تحد من كفاءة الباحث الأنثروبولوجي، حيث تبين أن الظروف قد تفقد الأنثروبولوجيين قدرتهم - تماماً - على الحركة، بحيث يصبح أي تدخل منهم ضاراً جداً بعملهم كأثروبولوجيين، فمثلاً عندما تتوزع الجماعات الجماعية في مناطق محددة كل منها، على أساس أمني يصبح الأنثروبولوجيون غير مرغوب فيهم، سواء المحلي منهم أو الأجنبي الذي اتهم - دائماً - بأنه نصيراً للاستعمار. (13)

وانطلاقاً من هذه الصعوبات يجب على الباحث أن يراعي العديد من الاعتبارات أثناء بحثه وعند كتابته تقريره ومنها:

- مراعاة مستوى الباحثين واتجاهاتهم وظروفهم المتغيرة في دراسة المجتمعات البدائية يجب أن تكون الأسئلة التي يطرحها الباحث على مبحثه بسيطة وواضحة وأن لا تكون ساذجة أي أن يطرح الباحث سؤالاً عن ظاهرة يراها كل سكان المجموعة بديهية ومعروفة، كما يتجنب طرح أسئلة عن شخص ما في وجود سيده أو شيخ القبيلة أو شيخ كبير، ويلجأ الباحث إلى الأفراد ببعض الأشخاص ليسألهم حول نفس الأمر من أجل الوصول إلى مقارنات تعطي نتائج أدق وقد يلجأ الباحث إلى إثارة حماس الأفراد من المجموعة المدروسة من خلال التحدث معهم حول البطولات والأسلحة ... إلخ من يجربهم إلى الكشف عن ما يريد.

- مراعاة ما يطرأ على المجتمعات البشرية من تغير دائم: يجب أن ينتبه ويتذكر الأنثروبولوجي أن المجتمع الذي يعيشه يبعثه يعيش في مرحلة تغير بما في ذلك المجتمعات البدائية التي تتمسك بتلك العادات والتقاليد التي ترى أنها أساس وجودها والحقيقة أنه لم يعد هناك مجتمع بدائي منعزل تماما عن التحولات الكبرى التي يعرفها العام، خاصة بعد الثورة الصناعية والعلمية والتوسع الاستعماري للرجل الأبيض في كل القارات وما أحدثه من تحول في طبيعة حياة هذه المجتمعات. فعلى الباحث أن يميز بين ما هو أصيل وما هو دخيل في ثقافة وتصرفات وسلوكيات هذه المجتمعات. (14)

كذلك فإن الباحث الأنثروبولوجي وهو يدرس المجتمعات الحديثة المحلية عليه أيضا مراعاة عدة متغيرات أساسية منها:

- مراعاة تقاليد المجتمعات، فيجب ألا يسأل عن أمور تتنافى مع قيم المجتمع وتقاليد.
- أن تكون الأسئلة التي يوجهها الأشخاص واضحة بسيطة، وأن يجرأ الموضوع إلى عدة موضوعات صغيرة متكاملة.
- أن تكون المصطلحات واللغة المستخدمة مرتبطة بالوقائع المختلفة للظاهرة الاجتماعية أو الثقافية. (15)
- أن يلتزم الباحث بالقوانين والعادات التي تحكم المجموعة وأن لا يبدي معارضة لها طوال فترة تواجده داخل المجموعة المدروسة.
- يجب ألا يصدق الباحث أو يرفض ما ينقله الإخباري من معلومات وما يصدره من أحكام بل يجب أن يسجلها كما جاءت ثم في مرحلة لاحقة يحاول التأكد منها وتسجيل الملاحظات كما عاينها وأن لا يكتف بتسجيل الاستنتاجات لأنها قد تكون خاطئة. (16)

د- صعوبات ترتبط بتطبيق الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمعات المعقدة:

14- فرانسوا لابلاتين: مرجع سابق، ص ص 19 - 20.

15- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 191 - 199.

16- عبد الله عبد الغني غانم، المرجع السابق، ص ص 200 - 2001.

إن الدراسات الكثيفة والواسعة التي أجريت على المجتمعات البدائية أو الشبه المنعزلة جعلتهم يتفقدون على نمط عام في تحليل ودراسة المجتمعات البشرية والعمليات الاجتماعية المختلفة ويقوم هذا النمط على ثلاث ميكانيزمات هي:

أ - تفاعل نفس الأشخاص والمجتمعات في مواقف مختلفة، تفاعلاً يجعل التزاماتهم تجاه جماعة معينة يؤثر في سلوكهم في مواقف أخرى وجماعات أخرى.

ب - تحليل العلاقة بين عناصر الثقافة من ناحية والعلاقات الاجتماعية من ناحية أخرى.

ج- التأكيد على العلاقات المستمرة بين الأنشطة الاجتماعية في تلك المجتمعات المختلفة

والمناشط الاجتماعية، فالأنشطة الشعائرية، والدينية والقانونية والسياسية على الرغم من

اختلاف كل منها عن الأخرى، إلا أنها تبدو متداخلة ومتراصة ببعضها في أغلب

جماعات ومواقف تلك المجتمعات، لدرجة أن كل نشاط يعتمد على غيره من المناشط.

ولكن الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية في مجال المجتمعات المعقدة ( خاصة المجتمعات المعاصرة

والحديثة) لم تحل جميع المشاكل المرتبطة بهذه المجتمعات، فالميكانيزمات التي استخدمتها تلك الدراسات لم

تكن مؤثرة وفعالة، وأوضحت هذه الدراسات أن الأنماط المختلفة من الأنشطة الاجتماعية أو الشعائرية

أو... إلخ في أغلب المجتمعات المعقدة غير مرتبطة ببعضها وغير متداخلة بقوة، كما هو الحال في

المجتمعات المحدودة النطاق، فكل نمط من النشاطات يميل إلى أن يتبلور ويكون قالب أو إطار تنظيم، أو

نظام مستقل بذاته، وهذا ما جعل من الصعوبة معرفة الوظيفة الدقيقة لأية جماعة داخل البناء

الاجتماعي الكلي في المجتمعات المعقدة، أو معرفة الوظائف الكاملة التي تنجزها أية جماعة في المجتمع في

المجالات السياسية والاقتصادية... إلخ. (17).

## الملاحق:

### إدوارد بيرنت تايلور *Edward Burnett Tylor*



*E.B. Tylor Act. 67*  
*From a photograph by Mull and Fox*

سير إدوارد بيرنت تايلور (2 أكتوبر 1832 – 2 يناير 1917)، هو أنثروپولوجي إنكليزي ومؤسس الأنثروپولوجيا الثقافية .

تايلور هو ممثل **التطور الثقافي** . في أعماله **الثقافة البدائية** و**الأنثروپولوجيا**، حدد سياق الدراسة العلمية للأنثروپولوجيا، معتمداً على نظريات التطور **لتشارلز ليل** . كان يعتقد أن هناك أساس وظيفي لتطور المجتمع والدين، والذي وصفه بأنه عالمي . اعتبر تايلور من قبل الكثيرين شخصية مؤسسة لعلم الأنثروپولوجيا الاجتماعية، وساعدت أعماله البحثية على بناء تخصص الأنثروپولوجيا في القرن التاسع عشر . كان يعتقد أن "البحث في تاريخ وما قبل تاريخ البشر ... يمكن استخدامه كقاعدة لإصلاح المجتمع البريطاني"

أعاد تايلور طرح مصطلح **الإحيائية** (الإيمان بوجود **الروح** في كل الأشياء، والظواهر الطبيعية) إلى الاستخدام العام <sup>[4]</sup> . اعتبر أن الإحيائية هي أولى مراحل تطور الأديان .





## بواس , فرانز (Boas, Franz) (1858-1942) :

عالم أنثروبولوجي و أنثولوجي (أمريكي). كان له أعظم الأثر في الدراسات الأنثروبولوجية و الأنثولوجية الحديثة , يعتبر أبا للأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية. درس قبائل (الإسكيمو) و (الهنود الأمريكيين) القاطنين في (كولومبيا البريطانية). قام بدراسات ميدانية في (المكسيك) و (بورتوريكو) درس على يديه أكبر علماء الأنثروبولوجيا في الجيل المعاصر في (و. م. أ). كان دارسا ميدانيا من الطراز الأول. أصر على تطوير طريقة علمية دقيقة لجمع المعلومات عن الشعوب البدائية و رفض الملاحظات العابرة و التعميمات النظرية, لم يكن انتشاريا متطرفا و لا طوريا متعصبا. رفض فكرة إعادة بناء تاريخ الحضارة. أعار الدراسات اللغوية اهتماما خاصا. ترك كتباً و مقالات علمية كثيرة أهمها:

- ذهن الانسان البدائي 1911 - الفن البدائي 1927 - الانثروبولوجيا والحياة العصرية 1928 - الانثروبولوجيا العامة 1938.

## مالينوفسكي , برونسلاف كسبر (Malinowski-Bronislaw Kasper) (1884-1942)



عالم أنثروبولوجي (نمساوي) المولد (بولندي) النشأة. (بريطاني) الجنسية. من أساطير الأنثروبولوجيا الحديثة. تخرج من (جامعة كراكاو 1908). في العلوم الطبيعية ثم درس في جامعتي (لايبتزك) و (لندن) قام قبيل الحرب العالمية الأولى بدراسة بعض القبائل (الأسترالية). ثم قام بين عامي (1914 و 1918) بدراسة ميدانية لسكان (جزر تروبرياند بالمحيط الهادي). وألف عنهم كتباً عديدة. وضع أسساً علمية للدراسة الميدانية و أبتكر أسلوباً للبحث العلمي في الأنثروبولوجيا. درس الأنثروبولوجيا في جامعة لندن (1924-1927). سافر باحثاً و دارساً إلى (إفريقيا) و (أمريكا اللاتينية) و (و. م. أ).

أصبح أستاذاً للأنثروبولوجيا في (جامعة ييل في 1939-1943). يعتبر هو و (راد كليف - براون) مؤسسي (المدرسة الوظيفية) في الأنثروبولوجيا. اشتهر بكتاباتاته عن السحر ، و الحياة الجنسية لدى الشعوب البدائية ، ترك كثيراً من المؤلفات ، أهمها :

من أهم مؤلفاته نذكر: "سكان الأرجوناوتس في غرب المحيط الهادي" (1922)، "الجريمة والعرف في المجتمع البدائي" (1926)، "الأسطورة في علم النفس البدائي" (1926)، "الجنس والكبت في المجتمع البدائي" (1927)، "النظرية العلمية للثقافة" (1940)، "السحر والعلم والدين" (1948).

## ليفى - ستروس, كلود (Levi-Stauss, Claude) (1908-2009)



عالم أنثروبولوجي (فرنسي). درس القانون و الفلسفة ثم تحول إلى الأنثروبولوجيا , درس الشعوب البدائية في (البرازيل) و المناطق الجنوبية من حوض (نهر الأمازون). يعتبر مؤسس الأنثروبولوجيا البنائية. منح درجات علمية فخرية. و أصبح عضوا في عدد من الجمعيات العلمية. أوضح أن العقل البدائي عقل منطقي. توصل إلى أن الميثولوجيا(علم الاساطير) ليست توضيحا للظواهر الطبيعية. بل هي وجهات نظر الإنسان عن وجوده و تنظيم مجتمعه. ركز على دراسة (الطوطمية من مؤلفاته:

الأنثروبولوجيا البنيوية - من قريب ومن بعيد (الدوائر الباردة - الفكر البري - الإناسة البنائية العرق والتاريخ - الاسطورة والمعنى - مقالات في الأناسة - من قريب ومن بعيد - مداريات حزينة -

## مارغريت ميد (Margaret Mead) (1901-1978)

تعد مارغريت ميد واحدة من أكثر علماء الأنثروبولوجيا الثقافية شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية لما لها من تأثير امتد إلى أوروبا وبلدان أخرى. ولدت مارغريت ميد في السادس عشر من شهر كانون الأول عام 1901م في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية.



وبعد تخرجها من المرحلة الثانوية التحقت بالجامعة واختارت علم النفس حتى بداية السنة الثانية عندما التقت بالمرأة التي وجهتها إلى علم الإنسان وفي السنة الثانية سجلت في مادة علم الإنسان(الانثوبولوجيا) التي كان يدرسها الأستاذ "فرانز بواس" مع الأستاذة المساعدة رث بندكت، وكان يعد من أبرز علماء الإنسان في الولايات المتحدة الأمريكية.

أولت ميد اهتماما خاصا لموضوع الثقافة والشخصية ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في بحوثها ودراساتها الميدانية أنّ أنماط الشخصية تتحدّد بالعوامل الثقافية لا عن طريق العوامل البيولوجية.

قضت حياتها في دراسة الشعوب الذين يعيشون على الجزر البعيدة في المحيط الهادئ، ذهبت إلى ساموا وإلى غينيا الجديدة مرات عدة، حيث درست خمسة شعوب منفصلة هم : المانوس والأرابيش والمندوجومر والتشامبولي والإتامول.

وذهبت كذلك إلى "بالي" لدراسة سكانها وقد قامت بذلك لأنها أرادت دراسة حياة الشعوب الأخرى وعلى وجه الخصوص أولئك الذين كان اتصالهم بالحضارة الغربية لا يزال ضعيفا.

لقد تدرّبت مارغريت ميد على تعلم اللغة المحلية للمجتمعات المدروسة، كما تعلمت أساليب أخذ العينات وإجراء الاختبارات والمتابعة المنظمة لأنواع السلوك من خلال دراستها لعلم النفس، كما كانت لديها خبرة بأسلوب دراسة الحالة ومعرفة بأن السلوك الفردي ينبغي أن يدرس في ضوء السياق الاجتماعي، هذا بالإضافة إلى طريقة الملاحظة بالمشاركة.

تأثرت "مارغريت ميد" بالعالم الأنثروبولوجي "بواس" الذي أسس بجامعة كولومبيا في مدينة نيويورك أول قسم رئيسي لتدريس الأنثروبولوجيا. وقد استفادت "ميد" من دراسة مالمينوفسكي حول "مجتمع التروبرياندا" في شرق غينيا الجديدة، والاتجاه البنائي الوظيفي الذي يمثله الأنثروبولوجي "رادكليف براون"، هذا بالإضافة إلى اطلاعها الواسع على مدارس علم النفس ومناهجه، وخاصة مدرسة التحليل النفسي حيث تأثرت بفرويد. وترجع شهرة ميد أساساً إلى نجاحها في نشر الأفكار الأنثروبولوجية على نطاق واسع ودفاعها عن فكرة التغيير والإصلاح في مجتمع الولايات المتحدة استناداً إلى النتائج التي خلص إليها المنظور الأنثروبولوجي والمنهج المقارن في دراسة الثقافات.

ومن أهم مؤلفاتها وأبحاثها: مرحلة المراهقة في ساموا، 1928. - التنشئة الاجتماعية في غينيا الجديدة، 1930. - النوع والمزاج في ثلاثة مجتمعات بدائية، 1935. - الذكر والأنثى، 1956. - حياة جديدة لكبار السن، 1956. - الثقافة والالتزام، 1970.